

293702 - هل يفر لوط عليه السلام من امرأته يوم القيامة ؟

السؤال

لقد قرأت أن لوطا عليه السلام هو النبي الذي يفر من امرأته ، فهل هذا صحيح ؟ وإذا كان كذلك ، فما الدليل ؟ و لماذا لوط وليس نوحا هو الذي يفر من زوجته رغم أن كلتاها كافرتان ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله

أولاً:

لقد ذكر الله تعالى أن امرأة نبيا الله نوح و لوط عليهما السلام خانتاهما في قضية الإيمان ؛ فاتبعها غير سبيل المؤمنين، وذكر الله عاقبتهم أنهما من أصحاب النار، كما قال سبحانه:

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ التحريم/10 .

يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلا للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا، وهما نوح و لوط فخانتاهما. ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطا كان يسر الضيف، وتدل عليه.

انظر: "تفسير الطبري" (23/ 111).

ثانياً:

ذكر بعض أهل التفسير عند تفسير قوله تعالى: **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** : أن المقصود بصاحبتة: امرأة لوط ، والمقصود بأبيه: والد إبراهيم، والمقصود ببنيه: نوح .

قال السمعاني: " وَقَوْلُهُ: يَوْمَ يَفِرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ : يَفِرُ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ ، وَيَنْتَفِعَ بِهِمْ .

قِيلَ: يَفِرُ لِيَلَّا يَرَوْا الْهَوَانَ الَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ .

وَقِيلَ: يَفِرُ مِنْهُمْ ضَجْرًا ؛ لِعَظَمِ مَا هُوَ فِيهِ .

وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّ قَوْلَهُ: مِنْ أَخِيهِ : قَابِيلٌ مِنْ هَابِيلِ .

... وَقَوْلُهُ: وَأَبِيهِ : هُوَ إِبْرَاهِيمُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مِنْ أَبِيهِ .

وَقَوْلُهُ: وَصَاحِبَتِهِ : هُوَ لُوطٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ زَوْجَتِهِ .

وَقَوْلُهُ: وَبَنِيهِ : هُوَ آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ بَنِيهِ الْمَفْسُودِينَ ، وَقِيلَ: هُوَ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ ابْنِهِ " انتهى من "تفسير

السمعاني" (6 / 162).

وقال القرطبي: " (وصاحبتة) أي زوجته. (وبنيه) أي أولاده. وذكر الضحاك عن ابن عباس قال: يفر قابيل من أخيه هابيل ..

وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ونوح عليه السلام من ابنه، ولوط من امرأته، وآدم من سواة بنيه.

وقال الحسن: أول من يفر يوم القيامة من، أبيه: إبراهيم، وأول من يفر من ابنه نوح، وأول من يفر من امرأته لوط. قال: فيرون

أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا فرار التبرؤ " انتهى من "تفسير القرطبي" (19 / 225)، بتصرف.

وهذا القول ينسب للحسن وقتادة ، وفي إسناده عنهما مقال، ولم نقف عليه منسوبا لأحد فوقهما.

ونبه هنا على أمور مهمة في بيان ذلك ، وفهم المراد من الآية :

الأول : أنه - مع فرض ثبوت هذا التفسير عن قال به من السلف - : فإن لفظ الآية عام ، وما ذكر من الأشخاص ، أو

الأسماء : هو من باب الخاص ، والعبرة في معنى الآية : عموم اللفظ ، لا خصوص السبب ؛ إن صح أن الآية نزلت في سبب

بعينه ، خاص .

وعلى ذلك ؛ فإذا إذا قيل في آية: إنها نزلت في كذا، فهذا لا يعني أنها تُقصر على هذا السبب، بل المراد هنا الألفاظ، ولذا تعمم

هذه الألفاظ ؛ وإن كان السبب خاصاً .

واعتمد هذه القاعدة أكثر علماء الأمة من مفسرين وغيرهم، والمحققون من أهل الأصول، بل حكى الزركشي الإجماع على ذلك ، وطبقها السلف في تفسيرهم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل، فإن عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك، وقد علم أن شيئاً منها لم يقتصر على سببه".

ينظر: "فصول في أصول التفسير" ، للشيخ مساعد الطيار (132) ، "دراسات في علوم القرآن" للدكتور فهد الرومي (433) .

الثاني :

أن كثيراً من السلف يذكر أسماء ، أو أعياناً خاصة ، في تفسير بعض الآيات ، ويكون ذلك على سبيل ضرب المثال للمعنى المراد من الآية ، وليس على سبيل حصر معنى الآية في اللفظ الخاص المذكور .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الصنف الثاني " – يعني : من خلاف السلف في التفسير – : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع – لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه .

مثل سائل أعجمي سأل عن مسمى " لفظ الخبز " فأري رغيفا وقيل له: هذا. فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى هذا الرغيف وحده .." ، انتهى من "مجموع الفتاوى" (13/337) .

وقال الشاه ولي الله الدهلوي ، رحمه الله :

" وقد تحقق لدى الفقير أن الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم أجمعين – كثيراً ما يقولون: "نزلت الآية في كذا" ، ولا يكون غرضهم إلا تصوير ما تصدق عليه الآية من الأحداث والمعاني، وذكر بعض القصص والوقائع التي تشملها الآية الكريمة ، لعموم لفظها، سواء كانت القصة متقدمة على نزول الآية ، أو متأخرة عنها، إسرائيلية كانت أو جاهلية، أو إسلامية ، تنطبق على جميع قيود الآية أو بعضها. والله أعلم.

انتهى من "الفوز الكبير في أصول التفسير" (176) .

وعلى ذلك :

فما ذكر في تفسير "الزوجة" و"الأب" و"الولد" ، الذي يحصل منه الفرار يوم القيامة ، بأنها زوجة فلان ، أو ابن فلان = كل هذا إنما هو على باب ضرب المثل لما يكون في ذلك الموقف ، وإيضاح معنى الآيات ، بذكر بعض ووقائعها ، وشرح العام ، بذكر بعض أفراده .

فليس مرادهم حصر فرار زوجة لوط من لوط فحسب، ولكن فيه تنبيه عليها ، لتكرر ذكرها في القرآن بالسوء ، بخلاف زوجة نوح عليه السلام فلم يذكر لها شأن على جهة التفصيل ؛ والظاهر أنهما وإن اشتركتا في الكفر ، لكن كان أمر زوجة لوط أشد ، وفسادها أظهر ، وخيانتها أبين .

ثم تنبه أخيراً :

على أن الفرار : منه فرار البغض، والتبرؤ ؛ كفرار المؤمن من الكافر .

وهناك فرار لانشغال الإنسان نفسه، وشدة هول الموقف العظيم ؛ وقد يحصل هذا لأهل الإيمان ، بل لأقرب الخلق إلى نفس الإنسان ، وألصقهم بقلبه ، وأعظمهم رافة به.

قال الله تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ الْحَج/1-2 .**

والله أعلم .